

الأمم المتحدة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء العاشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



تابعوا ...

WWW.ALUKAH.NET

(المجلد التاسع عشر)

٥٧٧

(الجزء العاشر)

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحبل (را) ١٢٩٥ هـ ١٨ ابريل ١٩١٧

فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتحنر هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمننا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ استدارة الزمان والنسيئة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة الذي أحبط به علم حفرة الفاضل الاستاذ انبي أستفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك للدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر المسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حالته ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

٦٠٤ استدارة الزمان والنسبة في الحج [المنار: ج ١٥ م ١٩]

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس
برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ، فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف
استدار كم يثته يوم خالق الله السموات والأرض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله
المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل
حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بعرفة لا يكون الا في ذلك اليوم
الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر وذا تقدم أو تأخر دخلت
النسبة معنى اذا لغروا ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت
لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة ايام بحسب الفصول تلي حساب
الاشهر الهلالية. فان قلتم هذا امر مقرر مشى عليه الصحابة والتابعين من بعده صلى
الله عليه وسلم وهلم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يستلونك عن
الاهلة قل هي مراقيت للناس والحج) ان المعتبر في الحج الاشهر الهلالية . قلنا
حينئذ يترتب على هذا انه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطق
هن الهوى، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه
الشمس برج الحمل. وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا
جرينا على ان السؤال كان عن جميع الاهلة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع
فحينئذ السؤال قد توجه بلا اشتباه، حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم
ذكرها يويد أن المراد بقوله والحج أن ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل
افتونا ماجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي
وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وإنما
أخذ الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث
من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل
الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات
بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اهـ ومنه يعلم
انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من اين اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة واقع

[المنار: ج ١٠ م ١٩] استدارة الزمان والنسيئة في الحج ٦٠٥

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التقويم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحسايين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرهم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع لوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لأول عام انتظم فيه حساب السنين في أثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لا دخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلمنا أن هذا المفهوم المدعى في السؤال هو مفهوم الحديث تقول أنه مفهوم مخالفة اشترط من يحتجون به ان لا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع تابعا للحساب الشمسي لخرج من الأشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الأشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الأشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة واياهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كما ذمهم .

واما فائدة الحديث فهي تقرير ابطال النسيء ولو ازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٣٧ : ٩) انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) وهو ما جر واعييه من تأخير بعض الأشهر الحرم الى غيره أي استحلال الشهر الحرام نفسه وتحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام . مثل ذلك أنهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في المحرم الذي يعودون فيه من الحج الى صنروا يعلنون ذلك في (منى) قبل انصرفهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلمس بن امية بن عوف نسباً لهم الشهور اربعين سنة ، فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ما حرم الله واخروا

٦٠٦ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار [المنار: ج ١٠ م ١٩٦]

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسبي البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الأشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسبي شيء . وقد قرأت بعد كتابة ما ذكر ما كتبه الحافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فاذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ما ذكرتم من الفرق بين الهلال والاهلة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالاهلة جمع هلال وهو اسم للقمر عند ما يبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليال وقيل الى سبعم وفي الليلتين الأخيرتين أو الثلاث الأخيرة منه . فاذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . ومما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لاوجه للخلاف فيه
٥٩١	١	والله أعلم بالظالمين ^(١)	أليس الله بأعلم بالشاكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طرد

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
ثُمَّ خَرَجَا مَتْرُودَيْنِ مِنْ خَوْخَةٍ^(١) فِيهَا وَاسْتَخْفِيَا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
تُور^(٢)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيُرْحَلَ بِهِمَا،
وَأَعْطِيَاهُ رَاِحَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ تُورٍ بَعْدَ ثَلَاثِ،
فَكَتَمَ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْمِيْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا،
خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ، وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا، فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ
مَا ظَنَنْتَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالْتُمُهُمَا؟ لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
ثَلَاثِ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ
فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمِدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) تور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يسرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

٦٠٨ ذكرى المواد النبوي [المنار : ج ١٠ م ١٩]

لَمَنْ جَاءَهُمْ بِهَا دِيَةٌ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الدِّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ دَلَى الظَّلَالِ " حَتَّى وَافَاهُمْ
بِقُبَاءِ ^(٢) يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ نَائِمِينَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ فَتَلَقَوْهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نَزْوَاهُ فِي بَيْتِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْتِدَالِ
الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيْعَتِهِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ ،
وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ
وَالكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَيْتِ سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بِهِمْ
فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ نَاقَتِهِ :
هَلُمَّ إِنِّي الْعَدَدُ وَالْعُدَّةُ وَالْمَنْعَةُ وَالسَّلَاحُ ^(٤) ، فَقَالَ « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا
مَأْمُورَةٌ » ، وَكَلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النَّزُولِ

(١) الحرة موضع ظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس

تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبركانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، وتقدر أيضا

(٤) الخظام الحبل الذي يوضع في مخيط الراحة أي اتفها لتقاد به و : هلم

البح حكاية لفوهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوها فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارِ بَعْدَ دَارٍ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْجِعِ سَجْدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ،^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ،^(٢) وَلَمْ يَفْرَحِ إِلَّا أَنْصَارُ بِشَيْءٍ كَفَرَّ بِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِثْلُهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي افْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بِبَدِهِ الْأَبْيَاتِ :

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضَعِّ شَرَّةٍ حِجَّةً يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَائِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَزَمَنْ يُوَوِي وَلَمْ يَرْدَاعِيًا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بعميرين وخمسة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمهم أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هوفج مكة
(٤) توى أقام والحجة بالسكر السنة والمضع ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بحكة يدكر ويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
مجمع الحج . فلم ير من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
ير داعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره
(المنار: ج ١٠) (٧٧) (المجلد التاسع عشر)

٦١٠ ذكرى المولد النبوي [المازج ١٠ م ١٩]

فَلَمَّا أَتَانَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا^(١)
 وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاطِلًا^(٢)
 بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعْيِ وَالنَّاسِيَا^(٣)
 نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا^(٤)
 وَتَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

أصرفه وسبرته بعد الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَ الْخُلُقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَأَدَابًا، اِمْتَاَزَ
 بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، وَقَدْ
 خَاطَبَهُ الْعَبَّاسِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَاهِمًا يَرِنُ
 اللَّطْفِ وَالْتِوَاضِعِ وَالِدَّمَائَةِ، وَيَبِينُ الْعِزَّةِ وَاللُّوقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوبها بسفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

(٣) الوغى الحرب والتآسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيبا لئلا يؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات

أخرى أيضا

بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،^(١) وَجَامِعًا بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْحَيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ أَلُوغِي
أَثَبَتَ النَّاسَ، وَكَانُوا يَلُودُونَ بِهِ إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ ثَبَتَ
وَحْدَهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ^(٣)، وَإِنَّمَا
كَانَ يُدَافِعُ عَنِّ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعًا، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالْتَّذِيرِ
وَالْتَّثْبِيتِ إِرْشَادًا، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَجَانِي فِي الْحَقِّ
عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جَنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى جِلْمِهِ أَلْوَابِعُ، لَا تَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيْمٍ، وَكَانَ أَجُودَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّحْبِ الْمُنْهَمِلَةِ،
وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِلَّهِ وَاللِّنَّاسِ شُكْرًا،^(٤) وَكَانَ

(١) البديهة الفجأة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه او وقره
واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة ، ومن خالطه اي عاشره مخالطة معرفة
احبه لحسن خلقه وكال آدابه وشدة رحمته وعنايته بامر معاشره . وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهزم ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكاره الشديدة
(٣) كان أبي من رهوس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بكفة اسمه العود
ويقول اقتل عليه مجدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل انا اقتله ان شاء الله »
فلما كان يوم احد ونكب المسلمون وانكشفتوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقنعاً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول اين هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي
فانه ان كان نبيا قتلي ، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حربة من الحارث بن
الهممة قطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فسكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قيل
بسرف وقيل براغ (٤) قال «ص» « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد
والترمذي عن ابي سعيد

٦١٢ ذكرى المولد النبوي [المنار: ج ١٠ م ١٩]

يُحِبُّ الْيَسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ^(١)، يَا كُلُّ مَنِ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلْدَ مِنْهُ نُسْكَاءً. وَلَا يَتَّخِرُ أَنْعَمًا وَتَفًا،
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْتَنِي بِأَمْرِ الْمَاءِ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرْقَاءِ، لِيَدْخُوَ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضُّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَلْفَ اللَّهِ بِهِ بَيْنَ تُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ
فَاصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْلُو
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَغِيًا وَعُدُوًّا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوَفِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيَشْفِي مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدَّ وَادَعَهُمْ وَأَفْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَأَنَّهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يُظَاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا ، وشرروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان يحب الشرب اليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشمال وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى ابو داود والسقيا بالضم
عين على بعد يوم من المدينة او اكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصرو

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، سِوَا فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُوا عَهْدَهُ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،
وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشْتَدَّتْ شِدَاوَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ
آمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعَذُّبِهِمْ لِمَوَالِيِهِمْ وَضَعْفَانِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حَوْهُمْ
الْبَغْيَ وَالْعُدْوَانَ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ، عَلَى أَنْ قُرِيشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهَدْيَ
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٢)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُنْعَةِ وَالْقُوَّةِ ^(٣) —، عَلَى وَصْفِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيَخْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي الى الحرم من الانعام دليل على عدم
ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويبية ويشدده أكثر الحديثين بترسمي
باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مَنَ أَتَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَكَانَ ﷺ
 قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ النَّجْدَ الْحَرَامَ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلِذَلِكَ أُسْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِيَاءُ
 مِنَ الصُّلْحِ حَتَّى خِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ، " لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ السِّكِّينَةَ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَّهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ
 الْكَثِيرَةِ، " (١) وَذَلِكَ بَرَهَانٌ عَلَى إِثْبَاتِهِ ﷺ لِلسَّلَامِ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصُّلْحِ اخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِسْمَاعِلُهُمْ أَنْتَرَانَ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْجَبَّارِينَ، (٢)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مُقْتَنِينَ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ
 الْهُدْنَةِ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصُّلْحِ؛ مَبِينَةً مَا فِيهِ مِنَ
 الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ النَّبِيِّ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ،
 فَسَمَّا دُفْتَحًا مَبِينًا، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَّ نَصْرًا عَزِيزًا، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِفَتْحِ

(١) لا صلح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى الامتثال لما عراهم من ذمول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها «هلك المسلمون ، وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج هديه ويحلق رأسه ، فخرج ففعل ذلك فجموه فتحروا وصار يحلق بعضهم بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من التهم

(٢) عجل لهم فتح خير فقد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في الحرم أول سنة سبع (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أْتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِنَانًا ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرِ حِجَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
حِجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشُّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ (١) ، وَأَمَرَ بَانَ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدَ مِنْهُمْ الْغَائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّهُ تَبَيِّنًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُبْسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِيغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو
إِلَى أُصُولِ الْإِيمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلِهَا بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتِمَالَ نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَطَهَّرُ بِهِ حِكْمُهُ وَتُشَاهِدُ آيَاتُهُ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَسَّعُ بِهَا الْعُلُومُ
الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْحَقَّ وَتَكْثُرُ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ٤ إلى ١٠، وأنها إلى مكة وعشرين ألفاً. وسبب هذا الاختلاف أنه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيها حولها وكان الناس ينضمون إليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

[المنار : ج ١٠ م ١٩]

ذكرى المولد النبوي

٦١٦

المؤمنين ، على الأضطهاد والأذى من المشركين ، ثم دخل الإسلام
بالحجزة في عهد الحزبية ، وتكونت له قوة العصبية ، وجاء الوحي فيه
مفصلاً ما أُجبل في السور المكية من الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ،
وَيُنْتِ السنة النبوية جميع فروع العبادات ، وكل ما يحتاج إليه من
النصوص والقواعد للسياسة وفروع المعاملات ، فبذلك كله أكمل
الله الدين ، وأتم نعمته على المؤمنين ، وقد تربى على ذلك الألوفاً من
المهاجرين والأَنْصار ، فنشروا هذا الدين القويم في الأقطار والأَمْصار ،
فأروا أُمَّ الحَضارة والأديان القديمة ، من العدل والرحمة والسيرة
القوية ، ما لم يروا مثله بأعينهم ، ولا رَوَوْا نظيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ
قَبْلِهِمْ ، وَقَدْ كَانَتْ مَدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الحِجْرَةِ ، كَمَدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ
الْبَيْئَةِ ^(١) فَبَعْدَ حِجَّةِ الوَدَاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ^(٢) قَبَضَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ
المُصْطَفَى ، وَرَسُوْلَهُ المُجْتَبَى ، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ
الأَعْلَى ، فَتَوَفَّى ﷺ تَارِكًا لِلأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ ،
كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَعِزَّتِهِ العَالَمِينَ بِهَذَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ^(٣) ،

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى
عشرة وكذلك كانت ولادته وبمته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك إشارة الى
ان الايمان به يلي الايمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيباً بناء
يدعى نخما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وهبط ودكر ثم قال « أم بعد
الآها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال - وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، - »

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُونَ ^(٢) ، مُؤَسَّسًا

= أذكر كرم الله في أهل بيتي، أذكر كرم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكثيرون منهم بغلاة المحبين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك اكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . والله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الامامة الى اليوم. والثقل بالضم وبفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القضيواء يخطب فسمعتة يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي - أحدهما أعظم من الآخر - كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي وان يفرقوا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والظهيراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتي كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضعف . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواياته كثيرة وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصح منه رواية . ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرابض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فمليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ
(٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أمانة لأمتهم فاذا ذهبوا أتاها ما يوعدون . ومعنى أمانة حفاضة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرها . والقرن العصر طال أو قصر

٦١٨ ذكرى المولد النبوي [المنار: ج ١٠ م ١٩]

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شُورَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
فِيَدَّتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ
وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَمُّ الشَّرْقَ وَالْمَغْرِبَ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأُعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
فَإِذَا وَسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَّامَةٌ
عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)
وَقَدْتُمْ كُلُّ مَا بُشِّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَن قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدرج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند البخاري « اذا وسد الامر الى غير اهلها فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله وهم كذلك » وحديث المعيرة « لن يزال قوم من امتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون » واللفظان هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث أخرى ذكر عصاة تقايل على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحديث والمفسر والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد. اي لان اقامة الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما وبالعامل بهما وبالدفاع عنه بالحجة والقوة (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقفة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات، والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات

[المنار : ج ١٠ ١٩٤٠] علماء بغداد في القرن السادس. رضي الدين القزويني ٦١٩

علماء بغداد في القرن السادس

ومكاتبهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بمدان وصف بغداد بأنها أمست بالنسبة الى ما كانت كالاطلال الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومماثلتهم وغرورهم بيلدهم ما نصه :

استغفر الله الا فقهائهم المحدثين ، ووعاظهم المذكورين ، لاجرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومدارمة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحبط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالوفق منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراءة امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقفوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونفحات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور نخطب خطبة سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على

٦٢٠ صدر الدين الخجندي . ابن الجوزي [المنار: ج ١٠ ص ١٩]

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحاز المساء فنزل وافترق الجمع. فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرّت سخيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم ناصية جزّ، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبّق بالموعظة وحز، فبه مثل مقام هذا الشيخ المبارك رحم العصاة، وتعمد الجناة، وتستدام العصاة والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتعمد بركة العلماء الاولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ولا معبود الا اياه

وههدنا له مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيّد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به، فأثي بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا التقييد المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة ومقرّبة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام
الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة
والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على
تفاس الدر

فأما نظمه ففرضي^١ الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصعد بسحر
البيان، ويمطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، انه
يصعد المنبر ويتدى^٢ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع
الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق،
فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون
آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات،
لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فاذا فرغوا أخذ هذا
الامام الغريب الشأن في اراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف
الامماع من الفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته
فقراء، وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة
على قافية آخر آية منها، فلو ان أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ماقرأ
القراء به آية آية على الترتيب لمجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً،
ويورد الخطبة الفراء بها عجلاً؟ (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟) ان
هذا هو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه
كالخبر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات
من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان
علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقتوا

٦٢٢ سماع الخليفة العباسي ونساؤه للوعظ [المنار: ج ١٥ م ١٩]

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من ينشى عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلولم نركب ثبج البحر، ونعتسف مغازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل كانت الصفة الرابعة، والوجه المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان من بقاء من يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر يباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمع من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعمامة فيدخلون الي ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا للمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر القراء امامه على كرسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاؤا، وأطربوا ما أرادوا، وبادرت العيون بارسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء القراء وأتى بأوائل الآيات في أثناءها منتظتات، ومشي الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكلمها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن الله لذو فضل على الناس) فمادى على هذا السين، وحسن أيّ تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالستر الأشرف، والجناب الأرف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لاروية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرّوات على النسق مرة أخرى، فأرسلت وأبها العيون وأبدت النفوس سرشوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الواله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلًا، ولا تميز معقولًا، ولا تجد للصبر سبيلًا، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق؛ بديعة الترياق، تشعل القلوب وجداء، ويعود موضوعها النسيبي زهدًا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس

مأخذه من الاحترام، وأصاب المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بمدُ

ياسعد زدني جوى بذكرم بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والاتعمال قد أترفه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإخام فابتدأ التقيام، ونزل عن المنبر دِهشًا عجيلاً، وقد أطار القلوب وجلا، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فن معلن بالانتحاب، ومن متعفر في التراب، فياله من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه، تفننا الله ببركته، وجمالنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نثر القيس عراقي النفس في الخليفة أوله

٦٢٤ تفضيل وعاظ بغداد على وعاظ الغرب والحجاز [المنارة: ج ١٠ م ١٩]

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل

فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شأنه، وتنادى في ايراد سحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه بالاضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة شرفهما الله مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالاضافة لمجلس هذا الرجل الفذ في نفوسنا قدرا، ولم نستطع لها ذكرا، وأين تقمان مما أريد، وشتان بين الزيديين، وهيهات التميز كثير، والمثل بمالك يسير،

وثرلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعاه، وحضرنا له مجلسا ثالثا يوم السبت الثالث عشر لصفور بالموضع المذكور بازاء داره على الشط الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجبا، صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسأل من أدمعهم وابلاسكبا، ثم جعل يردد في آخر مجلسه آياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والهنا مكتنبا، وغادر الكل متندا على نفسه منتعبا، لهفان ينادي يا حسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحبيهم دور الرحي، وكل منهم يمد من سكرته ما صحا، فسبحان من خلقه عبرة لأولي الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الاسباب، لا إله سواه .

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطيب
النطاسي ، الحكيم الاجتماعي ، العالم الطبيعي ، الاديب الكاتب ، الناظم الناثر ،
الدكتور شبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجالات والجرائد
العربية والفرنسية

كان شبلي فذا نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وافكاره وأخلاقه والذي
يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين
— وقليل ما هم — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجهاد كما هو
شأن السواد الاعظم من المتعلمين ، فهو لم يدخر مالا ولم يتأثر عقارا ، ولم يصرف
جل أوقاته للكسب ، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب ،
ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء
بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت
العصفور لا يترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم ما نرى فيه
العبرة من ترجمته فنقول :

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان
رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب
من دعائم الكفر ، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل
والالحاد ، ولم يتجراً أحد قبله على ما تجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت
عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المحامين
عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور
شميل كدأ بهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب ، وقد كانت مجلاتهم
(المشرق) واقفة بالمرصاد للمقنطف والهلال وغيرهما من الصحف المنشورة كلما نشر
فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد . فاذا كان
(المنار: ج ١٠) (٧٩) (المجلد التاسع عشر)

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ماجهر به فلا عجب اذا سكت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سرًا عن دعوته لمعالجة مرضاهم . وجهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكا يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المخلصين ومنهم من يغلو فيه ، أما النصارى منهم - وهم الاكثرون - فلا يرون عدم تدينه ما نعا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من تساهلهم الذي قاربوا به الافرنج ، وأما المسلمون فلا يرون مروقته من عقيدته التي نشأ عليها مبعدا له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طبيب عالم اجتماعي غير مسلم ، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحرية واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر اعلمهم يزيدون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسمع

وأمامذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام، ولم يجملوا ذلك ردا على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب ، وقد سبق أشياخنا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة استاذه الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي نخرجت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد تلخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشرية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لا مكان تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافاه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة علمية عالية وراتب شهري . ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهورا ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئاً
بيننا رأيي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب إلى
التساهل والانصاف، وبيان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع
مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر
في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والادبية
ويفسرها تفسيراً علمياً اجتماعياً. وانه قد حاول هذا الجمع فصعب عليه تجريد ما أراد
لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخرى. وقال لي
انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيري نافعا لك فيما تتوخاه
من التوفيق بين الاسلام والعلم المصري والحضارة المصرية ومن نشر محاسن
الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤون تفسيري ولا يقرؤون تفسيرك
وأما رأيه في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضل على جميع البشر،
وقد كتب الي منذ تسع سنين كتاباً أودعه أبياتا من الشعر في ذلك : هذا نفسه :

الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
أذت تنظر الى محمد كني فتجمله عظيماً وانا أنظر اليه كرجل واجمله أعظم . ونحن
وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي تقيض فالجامع بيننا العقل
الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا لعمري المودة .

من صديقتك الدكتور شميل

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في سدى قرآنه	ما قد نحاه للحمية الغايات
أني وان أك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات
أوما حوت في ناصع الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو انهم عقلوا بها	ما قيدوا العمران بالمادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجار وجل السياسة والدها	بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد نخلب النهي	وبسيفه أنهى على الهامات

من دونه الابطال في كل الوري من سابق أو لاحق أو آت
وقد نشرنا هذا الكتاب والاييات في (ج ١ م ١١) في معرض الرد على
البرنس كايثاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفاءته من حيث هو سيامي
محنتك أكثر من نجاحه من حيث هونبي، وإن حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة
القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى
الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من
حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص)
وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر
به في البيت الثاني، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة
ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى ما فيه من
المك الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العمران حتى في هذا الزمان .
وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظماهم —
ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل
الفصاحة والادب . فلو ان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان
مؤمنًا بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل ، لان ما امتاز به كتابه
وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت إنما كان بعد ان
بلغ أربعين سنة في الامية بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن تحدث هذه المزايا
العلمية العملية الادبية المرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكهولة دفعة
واحدة؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحى وتأيد من الله عز وجل . ولكن
كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن
سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة ، والصوارف عن أمثال هذه
المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى
ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره في بلاده وهو عده الجرأة على التصريح
بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها، وحب الامتياز من فرائض البشر الراسخة
فمن رأى نفسه قد انفردت بشيء منه قلما يفكر ويبحث في شيء من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أسرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من رذته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جنّزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجماهير الناس يرتابون في ذلك أو يجزمون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحملا بكثير من الاخلاق الحسنة المحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله ، كالرأفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فانا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين وانا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والذائل ، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذابين طماعين أدنياء بخلاء لا يرجي منهم معروف ، ونرى فلانا وفلانا لادين لهم متحمين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة واتخذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للجمهور

في اليوم المتمم للاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ففص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤبن اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور بهتوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به وبعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ما خلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اياي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب الي لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم لان العلم يبين طرق العمل ، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدى

الى الغاية منه، ففسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا، ولذلك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون، واننا نرى مبلغ تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لغيرها بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحب العلو واستعباد الاقوياء للضعفاء على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف ترجمته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور صروف للكلام على علم الدكتور شميلي فهو أعلم منا بهذه العلوم وبمكان الرجل منها وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميلي متحملا بعدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران البشري الا بكثرة المتحملين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والرأفة، يعرف له ذلك كل من عرفه، وكل خلق من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالايجاز فأقول:

ان من أضر مفسد الكذب طمس الحقائق وابطال ثقة الناس بعضهم ببعض فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة من بينهم. ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميلي من الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينفكره عليه ويكرهه منه أهله وقومه والسواد الاعظم من أهل وطنه، والشاهد على هذا تصريحه قولاً وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم، والمعروف أن الخوف من عاقبة قول الصدق، هو الذي يحمل الناس على الكذب، ولذلك يكثر في عهد الاستبداد والظلم، ولكننا نرى كثيرا من كبراء الحكام ورؤساء الناس في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيتهم، فلا يتجرؤون على التصريح لهم بما لا يرضيهم، وان كان التصريح خيرا لهم، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والنفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مراثيا ولا مناققا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يعتقد حقا
وصوابا غير هياب ولا وجل

وكان على جرأته وشدته في آرائه رقيق القلب سخي النفس ، فكان اذا دهم الى
معالجة فقير يخف اليه مرتاحا ويعالجه مجانا وربما اشترى له الدواء ، وزاده عن الغذاء ،
على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يمتثلون
على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا
جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكام من
قضاة وغيرهم) اناسا يعتمدون هضم الحق فيعدون جابي الحقيقة ويمطلون ، حتى
تمر الشهور والسنون ، ولا يعدقون ولا يفون . فهل يمكن ان ترقي أمة الا بزوال
هؤلاء أوزوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي
الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يعقل ان يمسك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين
كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وهنا مسألة مهمة تخفى على كثير من الناس ، وهي ان اكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع
في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية ، فكيف
اتصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يحتاج بهذه
الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين اننا نرى فلانا وفلانا ممن
مرقوا من الدين افضل أخلاقا وآدبا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم
من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والنفاق ، والجواب عن
هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسوبين الى الدين لم يربوا تربية دينية
صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير
فهم لحكها ولا قيام بحقها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية
دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تطمس
ما طبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته
الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ما طرأت عليه الا
بعد سفره الى أوربة ، فقد لقي في فرنسا عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدماه ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولا صعب فقد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المدركات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة يحزم صاحبها اعتلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سعادة، وتركها شقاوة لا تعدلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربي عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التآبين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الاخيرة ايضا حالاتي رأيت بعض الناس لم يفهموا حتى قال لي بعضهم ان التآبين يقصد به المدح وأنت ذممت الرجل وجعلته مجنوناً ، وإنما أخذ جعلي إياه مجنوناً من قولي ان فكرة الكفر والاحاد قد طرأت على دماغه في الكبر، وقد هربت بكلمة المنح بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولفظوا به ثم دعي الدكتور كحيل الى الكلام في سيرة شميل الطيبة فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بليغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أبيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها الفريد إطراء الشاب الممتلىء اعجابا بأرائه وأفكاره ونشاطه وهمته ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري وللمؤ بنين علمهم ، وانقضت الحفلة

[المنار: ج ١٠ م ١٩] عمران بغداد في القرن الثالث ٦٣٣

عمران بغداد في القرن الثالث

﴿ وصف دار الخلافة فيها ﴾

نشرنا في هذا الجزء اثاره من تاريخ بغداد العلمي الديني في القرن السادس بعد تخريب التار
لعمرانها وننشر هنا اثاره أخرى من تاريخ عمراتها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣٣)
منقولاً عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ
دجلة تحت نهر معلّى قديماً للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسيني فلما توفي صارت
لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في تفريفها وتسليمها ثم رمنها
وعمرتها وجصصتها ويضتها وفرشها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على
أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري
ماتدعو الحالة إليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد
إلى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ، ثم استضاف المعتضد بالله إلى الدار مما جاورها
كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده
ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتعليته ،
ووفى المقدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والنير ياوحي
الوحوش (بستانها) متصلاً بالدار ، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت المعتضد
الدار إلى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش إلى وقت المعتضد وذكر محمد
ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه أنها ماتت في سنة إحدى وسبعين ومئتين
وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار إلى المعتضد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد
ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارري
في بعض أيام المقدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد
اشتملت الجريدة إلى هذا الوقت على أحد عشر ألف خدام خصي وكذا من صقلي
ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم
ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضاً حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن
(المنار: ج ١٠) (٨٠) (المجلد التاسع عشر)

٦٣٤ رسول ملك الروم للخليفة العباسي [المنار: ج ١٠ م ١٩]

أيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار المتوكّل على الله أربعة آلاف فراش ، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرماها وما يجاورها وياتخما فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخبرين

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفراش الجميلة وزينت بالآلات الجميلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صنفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والأسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلالنة، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حفرة الخليفة بالبرزة الرائقة والسيوف. والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة^(١) وقد أكثرى كل دكان وغرفة مشرفة بدرهم كثيرة، وفي دجلة الشذات والطيارات والذبابذ والزلالات والسمرجات^(٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتمبته، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضففا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ، ثم استدعي بعد ان طيف به في الدار الى حفرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

(١) النظارة المتفرجون (٢) أنواع من السفن

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدي أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل إلى بغداد نزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آتته ثم صف المسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين ألف فارس ورجال، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار، ثم أدخل في أزج^(١) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من المسكر أحد البتة وأما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علق الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج عشيت بالديباج الأسود.

ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثير تعجبه منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده. قال لي هلال بن الحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي أبي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الأمير وأحسبه الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطور المذهبة الجليلة المصورة بالجمامات والفيلة والخليل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البهناوية والأرمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديباج المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر - منها الستور الديباج المذهبة المتقدم وصفها اثني عشر ألفاً وخمس مئة ستر - وعدد البسط والنبخاخ^(٢) الجهرمية والدرابجودية والورقية في الممرات والصحون التي

(١) بيت مستطيل أخض من النفق (٢) الصواب الانبخاخ وهو ضرب من البسط

٦٣٦ الخليل والوحوش وبركة الرصاص والشجرة [المنار: ج ١٠ م ١٩]

وطي عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الاماط الطبري والديقي التي لحقها النظر دون الدوس اثنان ومشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بنغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديقاج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبنزة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بمجر الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشمهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديجاج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزرايين بالنار فمال الرسل أمراً، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأهناقها السلاسل والحديد ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلبي حوالها نهر رصاص قلبي أحسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجاً منقوشاً من أصلها والى حد الجمارة بحلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بفرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو ومقفع وغير ذلك ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها ساحات كبيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجرة وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار بئنة البركة تتمايل خمسة عشر فرساً على خمسة عشر فرساً قد ألبسوا الديقاج وغيره وفي أيديهم

[المنار: ج ١٠م ١٩] قصر الفردوس والآلات وعدد الحرب فيه وخدم الخليفة ٦٣٧

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبياً وتقريباً وفي الجانب الأيسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا إلى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهايز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه إلى ممرطوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ، وقد أقيم نحو ألفي خادم بيضا وسودا صفيين يمنة ويسرة ثم أخرجوا بعد أن طيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً إلى الصحن التسميني وفيه العلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات والأعمدة. ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجنود والرجالة وأصاغير القواد ودخول دار السلام. وكانت عدة كثير من الخدم الصقالية في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور للشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا إلى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجله بعد أن لبس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبع معلقة ومن يسرته تسعة أخرى من انخرا الجواهر واعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة. ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفّر له (أي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا أنني لا آمن أن يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبته ولا كنتني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريعتنا ، ووفقاً ساعة وكانا شاباً وشيخاً فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الأمر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضحكاً كبيراً فتناوله وقبله إعظاماً له وأخرجاً من باب الخاصة إلى دجلة واقعداً وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخاصة وصعدا إلى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقاً في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة هـ

خاتمة السنة التاسعة عشر للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جاعلين حجمه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لان الورق قد قل وروده وزاد غلاء عنه حتى ان ما كنا نشتره قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أربعائة أو خمسمائة وقد جرينا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى اننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلتها وثأة أصابت يدنا اليمنى، وهنما مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الأسباب اني لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته ونفقتنا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أعمده، فلما عرضت الأسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فحرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن نتدارك ما فات بإصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ما كانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنه القمرية، واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان تعتمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولا تلبث مجلدات المنار أن توافق عدد سنه الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد رفقنا لا بتباعد

[المنار: ج ١٩م ١٠] الانتقاد على المنار وتأيدته للحركة العربية ٦٣٩

طائفة أخرى من ورق خبير من ورقه لاجل المجد العشرين تكفيه اذا صدر بحجم هذا المجد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانقطاع بعيدا اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره، فما انقول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك ونضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تفرق الغواصات بعض السفن التي تحملها ، فمسي ان يكون علم المشترين بهذه الاحوال باعنا لهم على أداء قيمة الاشترك بلا مطل ولا تسويق ونذكر المشترين الكرام بشيء ربما يفعل الكثيرون عنه، هونقة الجبابة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للتحصيل على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، ويا ليتهم جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشركها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف وطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد أن يسافر اليهم الجابي مرارا يمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فاذا يبقى لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فن تأمل هذا نهاء قلبه (ضميره) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجابي الى تكرار العودة اليه ، وان كان قد اعتاد الارجاء والتسويق

الانتقاد على المنار

لم يكتب البنا في هذه السنة انتقاد ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض إخواننا من إخبارنا بكرهة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعنه في الحكومة التركية الاتحادية هلى هلاتها التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض، وتأيدته للحركة العربية الحجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب علي لمثي وأمي وسيعلم من لا يكره أن يعلم اني كنت ناصحا مخاضها
وعلي حق و صواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للمسألة العربية بينت
فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من
مقاومة بغيرهم، ضاق عنها هذا الجزء، وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى
وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين
ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفأهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد
أولوها بغير ما قصد بها من النصح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من
أشد الناس اخلاصا له وغيره عليه اذ عد الانتقاد طعنا في حكومة الحجاز نفسها .
واقترح علينا ان نصرح بغيرنا من ذلك النقد فتقول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة اننا
نقصد بتلك العبارة غير النصح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراهوا الفرق بين
البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجهلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز - ولا لغيرهم -
على رجال النهضة الجديدة وطلاب الاصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما
يكون سببا لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها
على ان ما حكيناه عن بعضهم كان قبل تأسيس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر
لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها وكلا مناصريج في هذا لا يكاد يتبادر الى
الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل
سفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصح بالكتابة، ونحن العرب
أحوج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جعل الحكومة
التي نجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصحننا والله يعلم حسن نيتنا
ونقل الينا ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول
بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة، وهذا من سوء
الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وإنما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو
العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يفتنم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يهتمره
وأصل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للقيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولاً وآخراً.